المبحث الثاني

صفات الملائكة الخَلقية والخُلقية

أولاً: صفاتهم الخَلقية:

دلت نصوص الكتاب والسنة بأن الملائكة لهم صفات خلقية منها:

١ – عِظَمُ خَلْقهم وضخامة أجسامهم وقوتهم:

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ} [التحريم: ٦].

جاء في تفسير هذه الآية: أنهم غلاظ القلوب شداد الأبدان وهم من القوة بحيث لا تضرهم النار التي تذيب الحديد والحجارة(١).

وقال تعالى:{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦} [النجم: ٥، ٦]. وصف لجبريل عليه السلام ذو مرة: أي ذو قوة وقيل: ذو منظر حسن، ولا منافاة بين القولين، فإنه ذو منظر حسن وقوة شديدة(٢).

وقال تعالى:{إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١} [التكوير: ١٩ - ٢١]. أي: أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر، وهو جبريل عليه السلام{ذِي قُوَّةٍ}، كقوله تعالى:{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ} [النجم: ٥ - ٦]، أي شديد الخلق، شديد البطش والفعل{عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}، أي له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} أي: له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى{ثَمَّ أَمِينٍ} صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدًّا أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكي عبده ورسوله

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٩).
(٢) صحيح تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٩).

البشري محمداً ﷺ [1].

ومن السنة حديث عائشة - رضي الله عنها -: أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال:«لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[2]، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب[3]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» [4] كان مقترح ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، وهو يدخل تحت أسلوب الاستئصال وقد نفذ في قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، قال تعالى:{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [العنكبوت: ٤٠].

ولكن النبي ﷺ رفض منهج الاستئصال، ونظر إلى المستقبل بنور الإيمان، وقرر الدخول إلى مكة ليواصل جهاده الميمون، فالنبي ﷺ أراد

(١) صحيح تفسير ابن كثير (٤ / ٦ - ٣).
(٢) السيرة النبوية للصلابي (١ / ٣٧٥).
(٣) قرن الثعالب: هو قرن المنازل، ميقات أهل نجد، ويسمى الآن السيل الكبير.
(٤) البخاري رقم ٣٢٣١، مسلم رقم ١٧٩٥.

أن يتخذ من أصلاب الكافرين مصانع بشرية تخرج أجيالاً من المسلمين، المقاتلين في سبيل الله، فنظره ﷺ كان مصوَّب نحو المستقبل بصورة جلية، ولم يكن ذلك يعني الانسحاب من الحاضر[1]، ومما يدل على ضخامة أجسام الملائكة وقوتهم حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله قال: «**إذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**» [2].

٢ – أجنحة الملائكة:

قال تعالى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾} [فاطر: ١]، أي: منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر[3].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**» [4].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب**» [5].

٣ – عِظَمُ سرعتهم:

أعظم سرعة يعرفها البشر هي سرعة الضوء وهو ينطلق بسرعة

(١) السيرة النبوية للصلابي (١ / ٣٧٦).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ١٥١).
(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٤٦).
(٤) البخاري رقم ٦٠٤٥.
(٥) ابن حبان الإحسان رقم ١٣١٩، إسناده صحيح.

(١٨٦) ألف ميل في الثانية الواحدة، أما سرعة الملائكة فهي فوق ذلك، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر، كان السائل يأتي إلى الرسول ﷺ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة سبحانه وتعالى، واليوم لو وجدت المراكب التي تسير بسرعة الضوء، فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع الشاسع[١].

٤ – عدم حاجة الملائكة للأكل والشرب:

قال تعالى:{ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾} [هود: ٦٩، ٧٠]، وذلك أن الملائكة لا همة لهم في الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه، فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به.

وفي آيات أخرى قال تعالى:{هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾} [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

وكون الملائكة لا يأكلون الطعام أمر أطبق عليه العلماء، قال القرطبي: قال علماؤنا: ولم يأكلوا لأن الملائكة لا تأكل[٢].

٥ – لا يوصفون بالذكورة والأنوثة:

ميز الله عز وجل الملائكة بأنهم جنس يخلق كل واحد منهم بذاته، ولا

(١) عالم الملائكة الأبرار عمر الأشقر صـ٢٢.
(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٦٨).

يوصفون بذكورة ولا أنوثة وهم باقون على أصل خلقتهم التي خلقهم الله عليها، هذا ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة[1].

قال تعالى:{ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾} [الصافات: ١٤٩ - ١٥٤].

ذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب:

أ - جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس.

ب - وجعلوا ذلك الولد أنثى.

ج- - ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس.

وكل منها كافٍ للتخليد في نار جهنم[2].

وقال تعالى:{ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾} [الزخرف: ١٥ - ٢٠].

والمقصود إيضاحه كذبهم وبيان جعلهم في نسبة الأولاد إلى الله سبحانه ثم حكمهم بأن الملائكة إناث من غير دليل والجعل هنا بمعنى القول والحكم.

(١) في الملائكة المقربين د. محمد عبد الوهاب عقيل صـ٧٢.
(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢).

تقول: جعلت زيداً أعلم الناس، أي: حكمت له بذلك{أَشَـهِدُوا خَلْقَهُـمْ} أي: أحضروا حالة خلقهم حتى حكموا بأنهم إناثٌ[1].

وقد جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أ - جعلوا لله تعالى ولداً، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيراً.

ب - دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

ج - عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل، بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء.

س - احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً، فإنه تعالى قد أنكر عليهم أشد الإنكار فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه[2].

٦ – كلام الملائكة:

قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [البقرة: ٣٠].

قال رسول الله ﷺ :«**خلق الله آدم على صورته وطول ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيُّوك تحيتك وتحية**

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ٧٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٥).

ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله» [1]. والملائكة يكلم بعضهم بعضاً، كما قال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣].

في هذه الآية إثبات أن الملائكة يتكلمون ويفهمون ويعقلون لأنهم يسألون{مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} ويجابون{قَالُوا الْحَقَّ} ودلت الآية كذلك أن لهم قلوباً يصيبها الخوف والوجل من الله[2].

والملائكة تكلم الناس بحسب لغاتهم ولا يحتاجون إلى ترجمان كما حصل مع الأنبياء من بني إسرائيل وغيرهم وكما حصل مع نبينا محمد ﷺ.

- وهم يكلمون الناس في قبورهم كما هو معلوم في فتنة القبر.

- ويكلمون الناس يوم القيامة بالبشارة والنذارة.

- ويكلمون أهل الجنة ويسلمون عليهم.

- ويكلمون أهل النار ويبشرونهم بالعذاب.

- والنصوص في هذه المعاني كثيرة مشهورة.

والحاصل أن من صفات الملائكة الجسدية الكلام وهي صفة كمال ولا شك فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ووصفهم عليه السلام بذلك[3].

٧ – جمال الملائكة:

خلقهم الله على صور جميلة كريمة، قال تعالى في جبريل:{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖۖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦} [النجم: ٥ - ٦].

---

(١) البخاري رقم ٣١٤٨، مسلم رقم ٢٨٤١.
(٢) القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٣٩٥).
(٣) في الملائكة المقربين د. محمد عبد الوهاب عقيل ص ٧٥.

قال ابن عباس:{ذُو مِرَّةٍ} ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن، وقيل: ذو قوة. ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر ما قالته النسوة في حق يوسف الصديق عندما رأينه:{فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: ٣١](١).

٨ – للملائكة قدرات خارقة:

بما وضع الله فيهم من القدرات العجيبة فمنهم من يحمل عرش الرحمن كما قال تعالى:{وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾} [الحاقة: ١٦، ١٧].

ومنهم من ينفخ نفخة يصعق لها من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، قال تعالى:{وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾} [الزمر: ٦٨](٢).

٩ – لا يملّون ولا يتعبون:

فالملائكة الكرام يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره، بلا كلل ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال تعالى في وصف الملائكة:{يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾} [الأنبياء: ٢٠]. ومعنى لا يفترون لا يضعفون(٣).

١٠ – قدرة الملائكة على التمثل والتشكل:

مكن الله الملائكة من التصور بغير صورتهم التي خلقوا عليها وقد دلت

(١) دراسات في التفسير الموضوعي زاهر الألمعي ص ٢٢٤.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٧.

النصوص الكثيرة على ظهور الملائكة عليهم السلام للأنبياء وغيرهم بصورة البشر، ومن ذلك قوله تعالى:{هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾} [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

وهؤلاء الضيوف أنفسهم ذهبوا إلى لوط عليه السلام فلما رآهم خاف وضاق صدره لما يعرف من فحش قومه وسوئهم، كما قال تعالى:{وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾} [هود: ٧٧، ٧٨].

فقد تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر(١).

وقال تعالى:{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾} [مريم: ١٦ - ١٩].

وهذا المرسل في هذه الآية هو جبريل عليه السلام كما سبق وأن الروح من أسمائه عليه السلام.

والشاهد هنا تمثله وتشكله في صورة البشر، قال ابن كثير رحمه الله:{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} أي: على صورة إنسان تام كامل(٢).

وقد سبق نزول جبريل عليه السلام بروح عيسى عليه السلام إلى مريم

(١) في الملائكة المقربين ص ٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٥).

ونفخه هذه الروح في جيبها سبق هذا بشارة الملائكة لمريم في قوله تعالى: { إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ } [آل عمران: ٤٥ - ٤٧].

وهذه الشارة كانت مشافهة لمريم من الملائكة ولكن النصوص لم تدل على كيفية هذه المشافهة وكيف كانت صورهم لما بشروها ومنْ من الملائكة بشّر مريم بذلك ولكن النصوص تدل على أن الذي نزل بروح عيسى هو جبريل عليه السلام وأنه تمثل لها رجلاً سويًّا ونفخ روح عيسى في جيبها(١).

وجاء في السنة وقائع كثيرة لتمثل الملائكة بشراً أشهرها حديث جبريل عليه السلام وفيه:«**بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد..**» وقال في آخره:«**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، فقال:«**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» (٢).

فتمثل جبريل بصورة رجل شاب أسود الشعر بثياب بيضاء نظيفة وقد رآه الصحابة - رضي الله عنهم - بهذه الصورة فتعجبوا من نظافته مما يدل على أنه لم يقدم من سفر ومن عدم معرفتهم له لو كان من أهل المدينة وزال تعجبهم لما أخبرهم ﷺ أنه جبريل، وربما تمثل عليه السلام

(١) في الملائكة المقربين ص ٧٧.
(٢) البخاري (١ / ٢٧) رقم ٥٠.

بصورة دحية الكلبي[1]، كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنه - وفيه: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية[2]، ودحية مشهور بجماله وتشبه جبريل به دليل على جمال جبريل عليه السلام[3]، وتمثل الملائكة بصورة البشر قد يحدث مع غير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فمن ذلك، حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ :«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» [4].

وقد يكون هذا التمثل بصورة غير جميلة ابتلاءً وامتحاناً من الله لمن تمثلوا له، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول:«إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر، شك اسحاق – إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر – قال: فأعطي ناقة عشراء قال: فأعطي ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأعطى

(١) دحية الكلبي صحابي مشهور وأول مشاهده الخندق.
(٢) في الملائكة المقربين ص ٧٨ مسند أحمد (٢ / ١٠٧).
(٣) في الملائكة المقربين ص ٧٩.
(٤) مسلم (٤ / ١٩٨٨) رقم ٢٥٦٧.

شعراً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطي بقرة حاملاً، ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والداً فأنتج هذا وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت».

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله.

فقال: «أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[1].

ففي هذا الحديث دليل على تمثل الملائكة بصورة البشر وقد تكون هذه الصورة على صور شتى جميلة وقبيحة وعلى قدرتهم مخاطبة الناس

(١) البخاري رقم ٣٢٧٧، مسلم رقم ٢٩٦٤.

بلغاتهم وفيه أن الملائكة قد تكلم غير الأنبياء وليس كل من كلمته الملائكة يعد نبيًّا [١].

ثانياً: أخلاق الملائكة:

١- كرام برزة:

وصف الله الملائكة بأنهم كرام برزة، قال تعالى:{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس: ١٥، ١٦].

أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم طاهرة كاملة ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد[٢]، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ :«**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران**» [٣].

والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والله عز وجل قد جعل ملائكته كذلك ورزقهم هذا الشرف العظيم لقربهم منه سبحانه وتعالى ولأنهم يقومون بمهام عظيمة لا يقوم بها إلا من اتصف بهذه الصفات، قال تعالى:{بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } [الأنبياء: ٢٦] أي جعلهم كراماً[٤].

٢- البر:

بالكسر، الخير والفضل، والبار: الصادق التقي، وهو خلاف الفاجر،

(١) في الملائكة المقربين ص ٨١.
(٢) عالم الملائكة الأبرار د. عمر الأشقر ص ١٩.
(٣) البخاري (٤/ ١٨٢٢).
(٤) في الملائكة المقربين ص ٩٥.

وجمعه بررة[1]. والبر التوسع في الخير وجمع بار أبرار وبررة، قال تعالى:{إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾} [الانفطار: ١٣].

وقال في صفة الملائكة{كِرَامٍ بَرَرَةٍ} فبررة خص بها الملائكة في القرآن من حيث أنه أبلغ من أبرار فإنه جمع بَر، وأبرار جمع بار، وبرٌّ أبلغ من بار كما أن عدلاً أبلغ من عادل[2].

والبر يطلق على معنيين:

أحدهما: معاملة الخلق والإحسان إليهم.

الثاني: يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة[3].

والظاهر أن كلا المعنيين موجود في الملائكة عليهم السلام فهم محسنون في عبادتهم مطيعون لله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم محسنون لخلق الله محبون للمؤمنين وإحسانهم لبني آدم عظيم فجزاهم عنا أفضل الجزاء وأحسنه، ومن صور إحسانهم لنا [4]:

أ – دعاؤهم واستغفارهم لنا:

قال تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾} [الأحزاب: ٤٣].

وهذا من أعظم الإحسان لنا، ودعاؤهم واستغفارهم سيكون له أثر عظيم في هدايتنا وثباتنا على الحق إن شاء الله.

---

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٤٣.
(٢) المفردات ص ٤١.
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٣٨.
(٤) في الملائكة المقربين ص ٩٦.

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩}[غافر: ٧ - ٩].

ب – ومن إحسانهم لنا شفاعتهم لأهل التوحيد يوم القيامة:

قال تعالى:{وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ}[الأنبياء: ٢٨].

٣– التواضع وعدم التكبر:

- قال تعالى:{لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢}[النساء: ١٧٢].

- وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ٢٠٦}[الأعراف: ٢٠٦].

- وقال تعالى:{وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩}[الأنبياء: ١٩].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة(١).

٤– الحياء:

الحياء خلة شريفة وخلق عظيم يمنع صاحبه من ارتكاب القبائح

(١) المصدر نفسه ص ٩٨.

ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها[1]، وهو من خصال الإيمان كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:«**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**» [2].

ومما يدل على اتصاف الملائكة بهذا الخلق الشريف ما روى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضجعًا في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه... فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال:«**ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟**» [3].

٥- النظام:

الملائكة منظمون في عبادتهم وقد حثنا الرسول ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك فقال:«**ألا تصفّون كما تصف الملائكة؟**» قالوا: وكيف يصفون عند ربهم؟ قال:«**يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف**» [4].

وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة[5].

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة قال تعالى:{وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾} [الفجر: ٢٢].

---

(١) في الملائكة المقربين ص ٩٩.
(٢) البخاري رقم ٩، مسلم رقم ٣٥.
(٣) مسلم (٤/ ١٨٦٦) رقم ٢٤٠١.
(٤) رواه الجماعة إلا البخاري نقلاً عن عالم الملائكة ص ٢٤.
(٥) صحيح مسلم، علم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٢٤.

ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾} [النبأ: ٣٨] والروح جبريل[١].

٦- يحبون ويبغضون:

فيحبون من أحبه الله تعالى، ويبغضون من أبغضه الله، كما دل على ذلك صحيح السنة، فقد قال رسول الله ﷺ :«**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، قال: ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل، فقال: يا جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيُبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض**» [٢].

٧- إنهم يتأذون مما يتأذى منه ابن آدم:

كالروائح الكريهة، كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرات فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها فقال:«**من أكل من هذه الشجرة المنتة فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس**» [٣].

٨- إنهم لا يعلمون الغيب:

إلا ما أعلمهم الله تعالى، حيث كان جوابهم لربهم اعترافهم بعدم علمهم شيئاً لم يعلمهم الله تعالى إياه، قال تعالى:{ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ٢٤.
(٢) مسلم رقم ٢٦٣٧، البخاري رقم ٦٠٤٠.
(٣) مسلم رقم ٥٦٤.

مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾} [البقرة: ٣٢] (١).

٩- إنهم عباد الله، دائمو الطاعة والخوف منه:

لا يعصونه فيما أمر، كما أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره ومن بعد إذنه، قال تعالى مبيناً ذلك:{وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

فالملائكة ليسوا كالإنس، فليس لهم إرادة حرة أو مشيئة، كما أنهم لم يخلقوا للابتلاء، بل الحكمة من خلقهم: أنهم يعبدون الله ويسبحونه وله يسجدون ولكنهم مع ذلك مأمورون بالعبادة والطاعة، قال تعالى:{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾} [النحل: ٥٠].

فهم إذن مكلفون، ولكن تكليفهم يختلف عن تكليف الإنس والجن، فبينما الإنس والجن لهم خيار وتكليفهم ابتلاء، وقد يطيعون ويعصون ويغالبون أهواءهم وشهواتهم أو يتبعونها، ومن ثم يثابون على طاعتهم ويعاقبون على معصيتهم، فإن الملائكة لا خيار لها، لأنها جبلت على الطاعة، ولا استطاعة لها للمعصية، ومن ثم فإن عملهم وطاعتهم، كالتنفس والأكل والشرب بالنسبة للإنسان عليه فلا مثوبة لهم عليه، فهم يؤمرون فيطيعون، قال تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾} [البقرة: ٣٤] (٢).

* * *

(١) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٢.
(٢) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٢.